# قراءة جديدة للكتابة اللاتينية للوحة فسيفسائية مدينة الشلف

فتيحة عمار*

يعرض المتحف الوطني للآثار القديمة لوحة فسيفسائية أكتشفت سنة ١٨٨٣ في حمامات مقاساتها : 1,85 م x 1,70 م[1] ، بمدينة معروفة في غرب الجزائر كان إسمها "الأصنام"، تقع على مسافة حوالي ٢٥٠ كلم غرب العاصمة الجزائر، في سهول الشلف، أسسها، في ١٨٤٣ القائد الفرنسي بيجو Bugeaud ودعاها أورليان- فيل Orléans-ville على أنقاض مدينة أثرية تدعى كاستيلوم تانجيتانوم[2]، التي أسسها الرومان كمركز حربي وتجاري وديني في المنطقة[3]. حاليا تحمل هذه المدينة إسم " الشلف".

نقلت اللوحة الفسيفسائية إلى المتحف الوطني للآثار القديمة والفنون الإسلامية قبل سنة١٨٩٩ ،[4] حاليا معروضة في القاعة التي تضم الفخاريات. مثلت الـ لـ وحـ ـة على أرضية بيضاء، وعلى جوانبها شبكة سوداء، تتركب من سجلين، في السجل العلوي مثل صيادين بلباسهما القصير، أحدهما يحمل رمحا والآخر ترسا، يرافقهما كلب في حالة نباح، وهم جميعا يقتربون نحو الخنزير ذو اللون الأسمر القاتم، وهو في حالة إندفاع شديد، و يعتبر من بين الحيوانات المتوحشة التي شاع إصطيادها لخطورته[5]، وأيضا يسبب أضرار جسيمة في الأراضي المزروعة خاصة إذا كثر عدده[6] . الصيادون كانوا يقومون لإثارته بالكلاب ليخرج من مكمنه، وإرغامه بالإندفاع نحو الشباك، أو ينتظرونه وهم ماسكين رماح كبيرة لتوقيفه من الإندفاع [7] وهذه العملية الأخيرة جسدها الفسيفسائي في هذه اللوحة. ( الشكل ١)

---

*المتحف الوطني للاثار القديمة الجزائر .

(1) De Pachtère (M.F.G.): Inventaire des mosaïques de la Gaule et de l'Afrique, T. III, Paris, 1911, N. 450, p.108.

(2) مسعود الخوند: الموسوعة التاريخية الجغرافية، الجزء السابع، بيروت، لبنان، ١٩٩٦،ص٢٥٩.

(3) عبد القادر بوطبل،تاريخ مدينة حمو موسى في الماضي والحاضر ،الجزائر،١٩٨٦،ص١٢-١٣.

(4) De Pachtère (M.F.G.), op.cit, p. 108.

(5) Daremberg (CH.)-Saglio (ED.), Dictionnaire des antiquités grecques et romaines , T.V, article de G. Lafaye , Paris, 1918, p. 690.

(6) Precheur (C.) : La vie rurale en Afrique romaine d'après les mosaïques, Paris, S.D., p. 75.

(7) Daremberg (CH.) – Saglio (ED.), op.cit., p. 690.

أما في السجل السفلي فنشاهد فارسا مسلحا بترس، ويده اليمنى يرفعها، ونمر أصيب برمح هذا الأخير. والنمور كانت تصطاد لإستعمالها في الألعاب التي تقام في المدرجات[8]

هذه اللوحة جد مهمة حيث تمدنا بمعلومات حول اللباس والأسلحة والتقنيات المستعملة في الصيد في تلك الحقبة الزمنية.

لكن ما يهمنا حاليا في هذه اللوحة هي الكتابة اللاتينية التي تحمل في أعلاها بأحرف سوداء

و موضوعها:

SILIQUAFREQUENSFOVEASMEAMEMBRA

LA VACRO

هذه الكتابة رغم توفرنا على كل الأحرف ممل يسهل قراءتها بسهولة، إلا أن التعقيد فيها يتمثل في تحليلها، لأنها تحمل كلمات قد يتراءى لنا للوهلة الأولى أن ترجمتها تكون حرفية فتعطي معنى، إلا أنها تشير إلى معنى آخر تماما وهذا إذا تمعنا فيها جيدا .

هذه الكتابة تطرق إليها باحثين قدماء، ولكن إختلفت الآراء لديهم لكلمة siliqua التي تعتبر مصدر اللغز، حيث ذكر في مقال للباحث ريناك أن الباحث موقنس Mougins فسرهاعلى أنها عبارة عن قشور القمح تزين بها الحمامات،أما الباحث شميلSchmilt فيعطي إقتراحا آخر و هو إحتمال كونها المنبع الذي يمون الحمامات بالمياه. ويأتي إقتراح ثالث للباحث أليمر Allemerأنها عبارة عن نبتة توضع داخل الحمام[19].

و تواصلت الأبحاث حول هذه الكتابة فنجد قراءتها في كتالوج المعرض الذي أقيم من ٢٦-٠٤ إلى غاية ١٧-٠٨-٢٠٠٣ بفرنسا يحمل عنوان Algérie antique(الجزائر القديمة)، في مقال من إعداد الأستاذة الفرنسيةبلونشار- ليمي. م ، والباحثة الجزائرية نعيمة عبد الوهاب وهي كالتالي:

[20] Silique, puisses-tu souvent réchauffer mes membres dans le bain، أي: سيليكوا،هل بإمكانك غالبا تسخين أعضائي في الحمام .

فإذا إعتبرنا أن سيليكوا القصد بها ثمرة الخرنوب * وأن تصريفها جاء هنا للنداء (vocatif) وكلمة foveasفعل ومعناها تسخين وجاء بصيغة منصوبة أي

---

[8] Ibid , p. 689.

[19] Reinach (S.) : L'inscription de la mosaïque d'Orléans ville, dans B.C.T.H.S., Paris, 1891, p. 259.

[20] Catalogue de l'exposition 26-04 au 17-08- 2003, Algérie antique, Musée de l'Arles et de la Provence antique, France, 2003, p. 134.

يقابلها باللغة الفرنسية (présent du subjonctif) لضمير المخاطب أنت. ففي هذه الحالة يتبادر لدينا سؤال: كيف يمكن لثمرة أن تسخن أعضاء الجسم ؟

وانطلاقا من هذا السؤال حاولنا معرفة الطريقة التي يتبعها الرومان عادة في الحمام لتسخين الجسم وما الغرض من خلال ذلك ، علما أن الإستحمام لديهم يحدث بثلاث مراحل متتالية ليكون إستحماما صحيا ، فقبل الإنتقال إلى الحجرة المعتدلة tepidarium ثم إلى الحجرة الباردة frigidarium، يدخل المستحم في حجرات للتعريق:

١ - قاعات تسمى sudatoria وهذا للإستحمام الجاف، لينشط رشحه في هذا الجو المحرق.

٢ - بعدها ينتقل إلى le caldarium التي توجد بجانب هذه الأخيرة، أين تسود حرارة مرتفعة[21]. وكما يقول Gallien هذا يسخن كل أقسام الجسم: يسيل المواد السامة ، يزيل التفاوت ، يمدد الجلد ، ويخرج كمية معتبرة من المواد التي كانت من قبل عالقة تحت الجلد.[22]

وهنا يأتي سؤال آخر: ما هي التقنيات التي كانت تتبع في الحمامات لإحداث حرارة في الحجرات التي ذكرناها آنفا (sudatoria-caldarium) لتسخين الجسم؟

إن حمام التعريق وحمام البخار، يتم عن طريق مولدات الحرارة الموضوعة تحت الأرض التي تغطي القاعات بجو ساخن[23]. ومهما كان إختلاف مخطط الحمامات، فإن من الطبيعي في العالم الروماني أن نجد في الحمامات الطابقين، واحد على مستوى الأرض والآخر في القبو المخصص للأفران. الطابق الأرضي يقسم إلى عدة أقسام: حجرات للتعريق وكانت القاعات القريبة من الأفران، والهواء الساخن الذي يخرج من نار الجمر يسير تحت البلاطات، بين أعمدة من القرميد المشكلة الركيزة، وطول الجدران، داخل أنابيب من الفخار، منظمة في مقابل الجدران[24].

---

* من الفصيلة البقلية شجرته كبيرة الحجم ،الثمرة قرن لحمية تحتوي على ٣-٦ بذور وعندما ينضج القرن يجف ويسود لونه،تسحق الثمار وتؤكل أو
يعمل منها نقيع أو شراب ، وهي مغذية بها نسبة عالية من السكر، ونسبة من البروتين .

[21] Carcopino (J.) : La vie quotidienne à Rome à l'apogée de l'empire, France, 1939, pp. 301-302.

[22] Cagnat (R.) : Carthage, Timgad, Tébessa et les villes antiques de l'Afrique du nord, troisième édition, Paris, 1927, p. 96.

[23] Daremberg (CH.) – Saglio (ED.) , op. cit ., p. 652.

[24] Cagnat (R.) , op.cit ., pp. 96- 97.

فنستنتج من هذا أن التسخين يتم عن طريق مولدات الحرارة . ويتكون الوقود من فحم الخشب الذي يعتبر المادة الوحيدة الملائمة مع ضرورة تجنب إتساخ الأنابيب[25].
إذن أنفي أن تكون سيليكوا القصد بها هنا "ثمرة الخرنوب" لتأدية عملية التسخين.
وبالنسبة لكلمة lavacro التي أصلهاlavacrum جاءت مصرفة باعتبارها القابل datif و ليس ablatif أي بمعنى للإستحمام وليس في الحمام. هذه الكلمة أي للإستحمام هي التي أعتبرها من دلتني إلى معرفة القصد من الكلمات المتبقية. و جعلتني أيضا أنفي أن كلمة foveas عبارة عن فعل.
لذا أدت بنا الأبحاث أن تكون الترجمة ليست ترجمة حرفية بالنسبة ل: siliqua frequens foveas،
Foveas جاءت في صيغة الجمع، يمكن أن تعني في اللغة اللاتينية حفرة fovea .
Frequens هذه الكلمة نفسرها على حساب: سيليكوا فوفياسsiliqua foveas وميا ممبراmea membra ، إذن وظيفة الكلمة هنا تكون حسب المعطى الأول والثاني.
Mea هي نعت (صفة دالة على الملكية).
Membra أنا أرجح أنها تعني حجرة التي أصلها membrum فجاءت في صيغة الجمع أي حجرات.
إذن فبما أنه ذكر حجرات (الحمام) وأيضا للإستحمام (lavacro) فإن frequens يكون معناه يمون بغزارة فنتساءل حسب هذه المعطيات من يمون؟ - سيليكوا فوفياس.
لمن ؟ - للحجرات وتستطيع هذه الأخيرة أن تكون مفعول به: siliqua foveas(يمون )الماء بغزارة قاعاتي أو حجراتي .
لماذا عملت العملية؟ - للإستحمام: القابل datif (جرالمفعول إليه).
ونتساءل أيضا : ما هو الشيء الذي يفيض بغزارة؟ وبوجود كلمة فوفياس foveasالتي أشير إليها أرجح أن يكون هذا الشيء هو عبارة عن مصدر مجرى ماء (منبع المياه) ولكن ما علاقة سيليكوا التي تعني ثمرة الخروب في هذه الكتابة؟ أقترح أن صاحب الحمام يلمح إلى المكان الذي يوجد به المنبع حيث ربما توجد به أشجار الخرنوب فأعطي للمنبع تسمية سيليكوا فوفياس نسبة لذلك. والكتابة إذن القصد منها كالتالي: siliqua foveas frequens mea membra lavacro . وبالتالي المعنى القريب هو: سيليكوا فوفياس (إسم المنبع) الذي (يمون الماء) بغزارة حجراتي للإستحمام.

(25) Daremberg (CH.) – Saglio (ED.) , op. Cit ., p. 216.

إذا إفترضنا أنه مصدر مجرى ماء، فعلينا أن نعود إلى اللقى أو البقايا الأثرية التي تثبت ذلك.

إن الرومان كانوا دائما يهتموا للتزويد بذخائر كبيرة من المياه سواء الصالحة للشرب، أو لإستعمالها في الحمامات التي تتطلب كميات هائلة. فنجد في كثيرمن الأماكن بقايا لقنوات التي تستقبل المياه من العيون (الينابيع) وتنقلها إلى المراكز السكنية[26]. وبالنسبة لمدينة كاستيلوم تانجيتانوم فقد وصفت في المجلة الآثارية من طرف الملازم الأول Prévost الذي يتكلم عن عدة قنوات[27]،كالتالي : "حوض كبير إليه تصل قناة على بعد ٣ كلم (تجلب الماء من الينابيع الواقعة في واد تيروت)، وأين تنطلق عدة قنوات." [28]

إذن مأخذ الماء يتم في مجرى نهر تيروت جنوب المدينة ( الشكل ٢ ) بواسطة "سد في المرتفعات الذي منه توجد قناة لتتلقى المياه"[29].

وهناك عدة وثائق تعود للملازم الأول Prévost غير منشورة جمعت من طرف المقدم Tripier، يذكر فيها أن مياه القناة تصل إلى خزان ٨ متر طولا على ٥ متر عرضا، ومن هنا تتوزع في عدة قنوات." [30]

يذكر أيضا عن: العثور على عينان تبعد كل واحدة عن الأخرى تقريبا بمسافة ١٥٠ متر، ويتساءل هل تشكلان عين واحدة أو مياه العين العلوية كانت تصل إلى العين السفلية عن طريق قناة، وهذا ما لا يمكنه تأكيده، ولم يتم العثور على أبنية قديمة إلا في العين السفلية، مع ذلك لو أن العينان كانتا موجودتان حينئذ فلا يمكن إعتقاد أن الرومان قد تركوا مياه العين العلوية المفضلة.

لكن المقدم Tripier يلاحظ أن ليس هنا المكان الأفضل للسد "حيث بفعل إحداث عين أخرى تخرج من فوق، وبهذا العمل الماء يفقد، واستدل أن هذه الحالة نتجت عن تغييرات لنهر تيروت الذي كان أقل عمقا مما هو عليه حاليا." فخط العين تراجع والسد الروماني وجد في موضع سيئ لاستخدامه ثانية[31].

فنستنتج أن العين السفلية هي العين التي أراد صاحب الحمام الإشارة إليها.

---

(26) Carcopino ( J. ) , op. Cit . , p. 247 .

(27) Leveau (PH.) – Paillet (JL.) : L'alimentation en eau de Caesarea de Mauritanie et l'aqueduc de Cherchel , Paris , 1976 , p. 172.

(28) Gsell (S.) : Atlas archéologique de l'Algérie, Tome 1, Alger, 1997, Feuille N. 12, N. 174, p. 9.

(29) Leveau (PH.) – Paillet (JL.) , op , cit . , p. 172.

(30) Ibid , p. 174 .

(31) Leveau (PH.) - Paillet (JL.), op.cit ., p. 172- 174.

يبقى تعليق أخير يتمثل في أن مضمون الكتابة لا يرتبط مع مشهدي اللوحة .
بما أن اللوحة الفسيفسائية عثر عليها في حمامات فأرجح أن تكون الكتابة التي تحتويها يكون لديها علاقة بها وليس بمشهدي الصيد.

الشكل (١) : فسيفساء لمشهدي صيد خنزير ونمر
(المتحف الوطن للآثار القديمة والفنون الإسلامية)

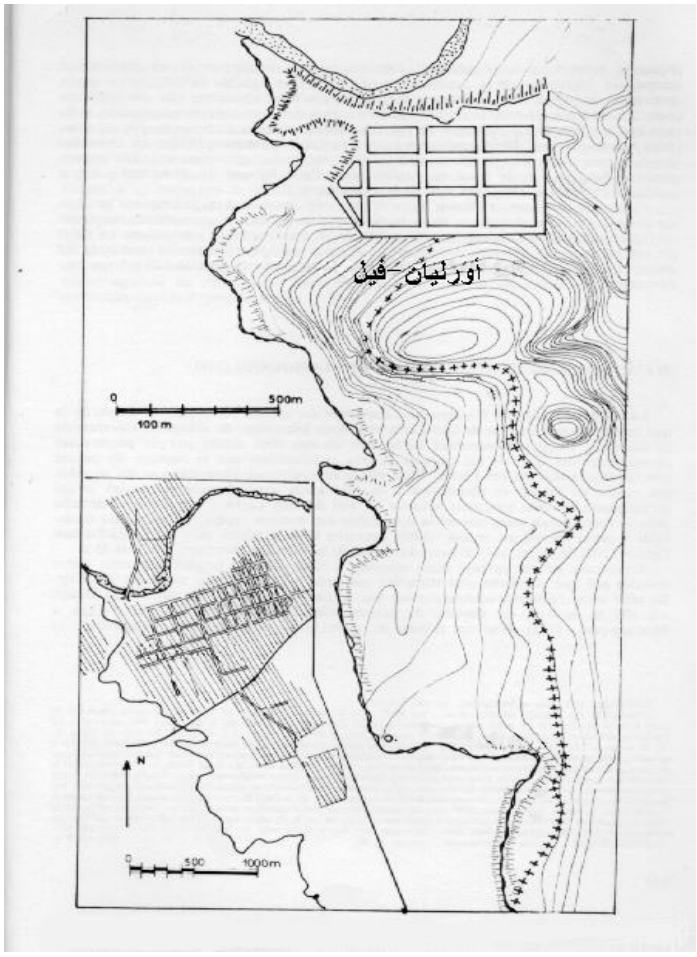


الشكل (٢) : تخطيط لقناة كاستيلوم تانجيتانوم (الأصنام)
حسب مخطط قديم
المخطط في الضفة اليمنى لنهر تيروت، مثل بعلامة (x).
( Leveau (PH.) – Paillet (JL.) : L'alimentation en eau de Caesarea de Mauritanie et l'aqueduc de Cherchel , Paris , 1976 , p. 173.)

SILIQVA FREQVENS FOVEAS NEA MEMBRA
LA VACRO

SILIQVA FREQVENS FOVEAS NEA MEMBRA
LA VACRO

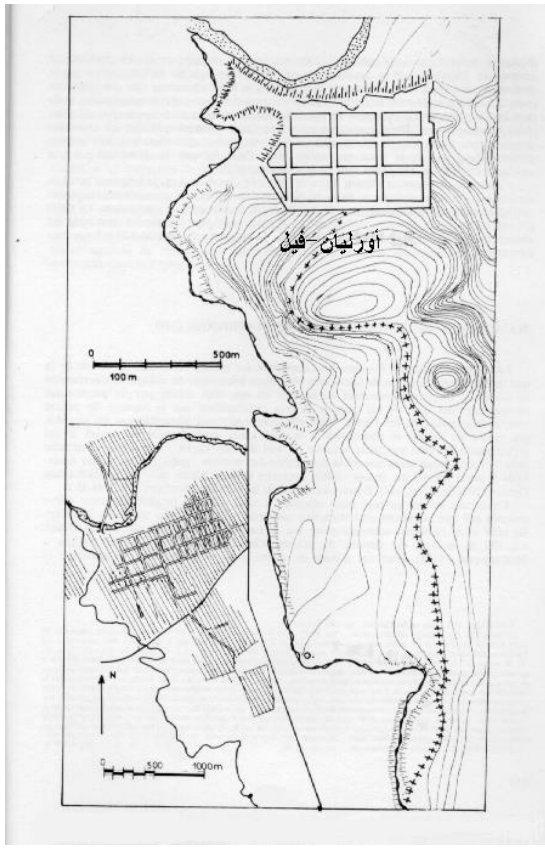
أورليان – فيل
0
500m
100 m
N
0
500
1000m